سأخون ذاكرتي

(٢-١)

إهداء:

علي

لأجلك سأخون ذاكرتي

سأكتب كل النصوص معكوسة

رحمة المغيزوي*

ذاكرة علي (١)

ترتجف يد أمي قليلا في يدي وأنا أمسك بها لنقطع الطريق المزدحم بالسيارات، نقف على الرصيف، تتنفس بعمق، تقطب ما بين عينيها تلعن السيارات المسرعة وأصحابها، تسألني باستهجان وتوتر واضحين

ـ ليش كل واحد فيهم يسابق الثاني؟!.

اخذ بيدها مازالت حرارة الحمى كبيرة في لحمها، ومازالت هي عنيدة كما كانت، توترها يظهر دائما بارتجافة خفيفة في أصابعها، أراها تشد على أرغفة الخبز المعبأة في الأكياس البلاستيكية، فيما أمسك بكيس حبات الطماطم الصغيرة والدواء في اليد الأخرى. نهم بقطع الشارع، توقفي على الرصيف عندما تسمع صوت إحدى السيارات.

ـ تعبانه يا بنتي، صبري شوي علي، خلي بالك من الطريق. أسمع صوت سيارة.

أحس بوهنها وأنفاسها المتلاحقة، أمسك يدها بقوة، بسرعة نقطع الطريق، نصل إلى البيت، أفلت يدها، أفتح الباب الخارجي، تدخل أمي بقدمها اليمين، تسمي وتسلم على أهل البيت من الجن.

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أوصلها إلى سريرها، أعطيها شيئا من الدواء الذي صرف لها من المستشفى، تنظر إلى بصمت، أغطيها تعلق بصرها بالسقف، تمسك بيدي وتدعو لي.

ـ الله يخلي لك صحتك وكمال عقلك يا بنتي.

أشعر بشيء باردة ومريح يمس داخلي، تغيرتْ منذ انتقلنا، أصبحت تنسى أحيانا وتكيف نفسها . خالجني شعور بالراحة اتجاهها وأنا أطلب منها أن تنام ، ريثما أعد الغداء ، في اخر الدار يقع المطبخ ،ذاكرتي تعد الخطوات الثلاثين إليه ، أخرجتُ السمك من الثلاجة ، عدت ووضعته فيها،بعد أن تذكرت أن أمي اشتكت منه بعد أن وجدتْ عظما صغيرا في اللقمة التي كادت أن تصل إلى فمها ، وتركتْ الطعام وقالت بضيق

ـ ناقصني بعد أموت من عظم سمك.

استقر رأيي على إعداد الدجاج، وقربتُ رؤوس البصل، أشعلتُ النار، كان في النار سر لم أعرفه ، في نظري كانت النار قوية ، لأنها تحمل الضدين دائما ، جميلة ومحرقة ، أترك كل شيء . وأعود إلى نفسي .ها أنا ذا لم أتغير منذ ما يقرب العشر سنوات ، ما زالت نفس الأحداث التي شغلت ذاكرتي موجودة ومتجددة ، ذات الأحداث المتراكمة منذ سكنا القرية وذات الزيادات التي فيها بعد أن انتقلنا إلى أطراف المدينة ، قبل عام شعرتُ أنني أضيع الأحداث في الصخب الجامعي الذي بدأت أسايره ، وأنني أبدو غير ما كنتُ أعرف ، كنت أنا أستبعد لأيام كل محتوى ذاكرتي العتيقة فأشعر بالحرية ، بالفرح الذي افتقدته منذ كنتُ في العاشرة ، ولكن وجه "الأستاذ علي" الذي أوقفي ذات يوم بعد محاضرته ، تفحص فيها الأسماء الطلاب ووجوههم وقبائلهم وسألني بلهفة غريبة

ـ سمعت عن "تجفة بنت حسن"؟

أحسستُ أنني لم أتغير ما زلت أشعر بالتعب من بعض الأشياء دون سبب ومن الإرهاق كلما نظرتُ إلى السماء وأردتُ أن أختار لي نجمة أسمع " صوت " حسن" يرن في أذني مستبشرا

ـ سامية أنت ذيك النجمة البعيدة.

في أول مرة زارنا فيها "الأستاذ علي" ليتعرف علي بعض من أهله ويسأل عن "تجفة بنت حسن" كما ذكر في ذلك العام، كنت أسمع صوته من مكاني في الطابق العلوي ، كنت قد رأيته يجلس بالقرب من أخي "راشد" وتحدثان طويلا ومن ثم سمعتُ صوت أمي تخبره بتوجيه كلامها إلى أخي وتقول

ـ يا راشد خبره أن قبر " تجفة بنت حسن " في وسط مقبرة الحارة عليه طرف نخيل ، خليه يروح يسألها عن "حسن " ، إحنا ما نعرف شي ، وما نعرف أحد ، كل واحد أخذ رزقه وراح.

ثم تزفر أمي بعمق وتقول بنبرة باكية

ـ وقوله كيف بعد ها السنين تسأل عن تجفة وأهلها.

لم ترتح أمي أبدا إلى "الأستاذ علي"، شكتْ في كل الكلام الذي قاله من أن جذور أسرته تنحدر من نفس المكان الذي جئنا منه ، وأن إحدى جدتيه نحمل نفس قبيلتنا ، قالت لي في أول مرة حدثتها عنه وعن علاقته بـ"تجفة بنت حسن"

ـ هو يريد يعور قلوبنا، إحنا ما صدقنا نبدنا ننسى. عشر سنين مرت والدنيا تغيرت. وكل طير طار بحظه. وإحنا ما نعرف جدته، سامية خليك بعيدة عنه، بسنا من السوالف والكلام.

حتى وأنا أغوص في الظلام ،أبدا أعود إلى ذاكرة العشر سنوات ، تحرقني الأشياء في هذه السن تحديدا ، عند منتصفها أشعر بأنني أبحث عن " حسن " ، كان الإحساس المتأصل لدي أن "حسن " مختبئ في إحدى لحظات تلك السنوات العشر ، وأنه سيطل برأسه من أحد الجدران ويبتسم ، أنه سيكتشف معي الأسرار التي بت أعرفها عن النساء مثلما اكتشفت صدفة أن " تجفة بنت حسن " ليست أمه ، وأخبرته

ـ حسن " تجفة بنت جسن" ما أمك . سمعت أمي تقول أمك ماتت وأنت بعدك قطعة لحم حمرا.

في يومها جرى " حسن" من أمامي ، بحثت عنه ليومين لأخبره أنني أكتشف أسرار النساء ، أشرح له عن " عويش " وكيف كانت صورة النساء المجتمعات في بيتنا الكبير في القرية ، وصورة " عويش " وهي تتوسطهن أكثر جمالا ، " عويش " القريبة من ذاكرتي الآن ، كانت تجلس في الوسط تضع طفلتها الصغيرة بين ساقيها القويتين ، تخلع بتمهل سروال الطفلة تهدئ من بكاء الطفلة وتفتح ما بين ساقيها تقترب امرأة غريبة عنا من الطفلة وفي يدها شفرة حادة تقطع شيئا من بين الساقين ، تصرخ الطفلة الصغيرة ترفع المرأة قطنه ملوثة بالدم وبيدها ، عندما تراني أمي تنهرني ابتعد عن الحلقة النساء ، يزيد اللغط والضحكات وهن يرددن للطفلة.

ـ طار الشر يا بنية.

تضحك "عويش"، ضحكتها تعيد لي اكتشاف الأشياء الأولى ، الأصوات من حولها تزيد

ـ علشان خاطرنا يا عويش.

أنظر من بعيد تقف " عويش " في وسط الحلقة ثم تعود وتجلس ، ستحثها الأصوات مرة أخرى بضحك متكبر ، تقف من جديد ، تهم بالرقص ، تحاصرها الأصوات معترضة ، ويقطع صوت إحدى النساء الاحتجاج.

ـ عويش، إحنا نريد نعرف كيف رفعت ذاك.

وتشير إلى ثديي " عويش " الصلبين ، تجلس " عويش " في حياء ، تستحثها الأصوات ، تتمنع " عويش " في خجل ، تقترب أيدي النساء إليها وينزل ثوبها من أعلى كتفها ، ينظر باستغراب للقماش الذي يلف صدرها ، فيما تزيد ضحكات " عويش " في أذني.

يخرجني صوت أمي من الذاكرة ، أجري إليها ، اترك كل ما عرفت في سن العاشرة ، وجدتها شاحبة وصفراء ، بدت لي شبيهة " بتجفة بنت حسن " الآن ،العينان الغائرتان دون معنى محدد ، الشعيرات البيضاء التي خرجت من تحت غطاء الرأس ، ذلك الانكسار الذي صحبها في السنة الأخيرة التي عاشتها ، نادت أمي علي بصوت واهن

ـ أريد أشرب . حلقي يابس ، الله يلعن الشيطان وسوالفه.

كانت أمنية " تجفة بنت حسن " التي أسرتها لي وأنا أقترب من سريرها الملاصق وأسألها بجزع

ـ أمي " تجفة " أنت مريضة ؟.

ـ حسن . وين ولدي حسن ؟

أتحرك من جانبها لأنادي أمي لها ، ولكنها تنادي علي بتوسل

ـ ما أريد أحد ، بس عطيني ثوب حسن . خليني أشم دمه وريحته .

تسعل أمي بشدة ، أقترب منها وفي يدي زجاجة الدواء ، ترفض وتزيح وجهها جانبا

ـ بسني تعبت من كل ها الدنيا ، متى الله بريحني من كل شيء . ويفكك من كل ها التعب.

صامتة أتركها في الغرفة ، كنت أعرف أنها سترتاح عندما تكون وحيدة ، ربما تبكي ، أمي دائما تبكي وحدها ،حتى عندما مات أبي ،و قرر أخي "راشد " أن يسكن هو زوجته بعيدا عنا ،أغلقت على نفسها الباب ولم تسمح لنا بالحديث معها ، عندها تشعر بالضعف وتتذكر أن العالم كله ضدها ، تعلمت أن أغلق عليها الغرفة ، تبقى تشتم المرض وتلعن نفسها ، إلى أن اسمع صوتها يرتفع بالاستغفار والتوبة ، ومن بعدها تخرج لتصلي ركعتين وأسمعها وهي تبكي ،بعدها تخرج إلي بنفس راضية وتقول باعتذار مبطن

ـ الإنسان ويش غير لسان ، واللسان ما في عظم ، يتكلم بدون ما يحس.

كانت مثل تلك الحالة تشتد عليها في الليل ، تخاف أن تنام فلا تصحو ، تقترب مني لتتأكد من انتظام أنفاسي ،فأسمعها تسب أجدادها وكل من كان سببا في وجودها في الحياة ، وفي بعض الأحيان تعود إلي بعد أن تطوف بأرجاء البيت وتفتح الغرف التي لم نعد نستخدمها ، تدور فيها ومن ثم تغلقها ، وتعود لتجلس بجانبي

ـ من تزوج راشد خلا لها البيت ، وما بقالك غير هذه العجوز اللي مصدعة راسك.

في وقتها يتغير كل شيء في البيت ، تمد يدها بصحن الطعام الذي تحضره من المطبخ ، تمد لي كسرة من الخبز وشيئا من التفاح ، تضع شيئا من الطعام في فمها وتنظر إلى الدواء وتقول:

ـ صحيح اللي يقولونه في المستشفى ، أنا ما مريضة ، أنا بس محتاجة أرتاح و أترك الشك من قلبي.

تنتظر ردة فعل مني ، ألوذ بالصمت

ـ أنا أعرف أنك في هذي الأيام ما تاكلين ، كلي حبيبتي ، أنا أقول راح أصلي ركعتين في كل ليلة وربي راح يسعدني وأنسي الوسواس ، أن وراشد كلهم بخير ، ما فيكم غير العافية ، ويش رايك؟

(٢)

بعد شهر من سفره تذكرني "الأستاذ علي" وكتب لي في ايميل طويل

(سأخون ذاكرتي ، في لحظة خطر لي أن هذا العنوان، فجأة فكرت أن يكون عنوان مدونتي،.. على غرار سأخون وطني لجمال الغيطاني.. وأنا هنا سأخون ذاكرتي بدعوى قضية النسيان التي أثارتها أحلام مستغانمي، التي تخاطب فيها النساء قائلةً: "أحبيه كما لم تحب امرأة، وانسيه كما ينسى الرجال" مختزلة قضية الخيانة في الحب في جنس الرجال دون النساء، متناسية ثرثرة المرأة في الشكوى من البعد والفراق، وصمت الرجل حين يتلاشى احتراقا.

إن فلسفتي في الحب قائمة على تلك المسافة التي يقطعها الرجل وهو في طريقه إلى قلب المرأة بين الروح والجسد، فكلما بقيت هذه المسافة باقية سيبقى الحب، وكلما تقلصت المسافة ووصل إلى تخوم الجسد، سيبدأ هو بالبحث عن مسافة أخرى يقطعها في قلب امرأة أخرى، وستبدأ هي تعدوا ركضا محاولة الإمساك به دون جدوى وهنا يكمن الفرق سيدتي.

لكن ماذا لو أبقت المرأة على هذه المسافة متأججة؟ ، هي انتحار بطبيعة الحال لكنها السبيل الوحيد والملاذ، وهنا سيصعب على الرجل النسيان حتى وإن رحلت هي، ومن هنا سيدتي ستبدأ الحكاية، وأي حكاية، حكاية تقفز من أعلى شرفة في برج حب مجهولة معالمه، برج تعددت نوافذه، واستلبتني مفاتيح أبوابه، وأضحت عليَ عصية أسراره.

رحيل بلا قبلة وداع ذاك الذي آلمني.. رحيل إلى المجهول كان أقرب للضياع.. لم أكن لأتوسلها الرجوع فعزة نفسي كانت تأبى التوسل لمن باع الوداد، غير أني سرعان ما اكتشفت أن لا عزة للنفس في الوجد، لكنه شيء يسافر دون حقائب وبدون زوج حذاء

كان يومها لنا عالمنا الخاص الذي استمتعنا به على طريقتنا، ثم أصبح ذلك العالم مجرد ذكرى أحاول حتى الموت كي لا أخون تلك الذكرى، صحيح أن الزمن لا يعود، وإن عاد بشيء من ذكرياته فبطريقة مختلفة لن تتشابه مع ما سبقها من ذكريات، فهي إما طيف من خيال، أو حلم من واقع محال. لحظات ربما هي أعذب اللحظات التي مررت بها في حياتي، لحظات رغم جماليتها إلا أنها كانت ممزوجة بالخوف والألم، خوف مصدره ما بعد ذلك، وألم كان يولده قلق مستمر من عاطفة تجتاح العقل ليمضي إلى غير ذات وجهة.. كانت حالتي أشبه بالتيه بحثا عن حلم خلف سراب.لحظات لا أدري إن كنت أتحدى فيها الضمير الأخلاقي، وأتخطى فيها القيم والأعراف والقوانين أياً كان شكلها ومضمونها، وسؤالا دائما يتكرر كالرنين المغناطيسي في عقلي.. هل يحدُ الحب قيم وأعراف وقوانين؟... إن كل ما كنت أستوعبه حينها هو ذلك الكم من المتناقضات الذي كنت أمارسه طواعية على نفسي بوعي أو دون وعي أحيانا.

همس العيون.. أريج العطر.. الشال الفستقي.. وأشياء أخرى كانت تؤسس في ذاتي أيقونات، تتجذر كل يوم لتصل إلى أعمق أعماقي، وتأبى أن تفارق أفكاري، وكلما ذهبت لألقي بها في الشاطئ الذي تعودت الجلوس عليه، وما أن أقذف بها حتى يعيدها الموج لي مرة أخرى أكثر عنفوانا وأشد تطرفا.. فماذا عساني أسمي ذلك؟!! حب.. عشق.. هيام.. جنون، أجل إنه الجنون العاطفي الجارف الذي بدأ يجتاحني عنوة دون سابق إنذار، ومتلازمة الصمت كانت هي الأشد وقعا على نفسي يومها إذ كنت أخشى الاعتراف وأعتبره ضعفا، أو لنقل خشيت أن أردّ فينكسر قلبي الأبيض المعتوه.)

كانت صورته المرفقة بالايميل صغيرة لم أشاهد من منها إلا جمال الذقن الحليق في كل مرة التقينا فيها ، العينان السوداوان المشعتان بضوء النجوم ،ثم هي صورة التشابه التي أفكها بينه وبين " حسن " كنت قد قررت ضمنا أننا نمر بنفس المنحنى إن كان بطريقة مختلفة في الشكل ، كان هو يتذكر ليبقي الأحداث حية ، وكنت أتذكر لأنسى.

في ذلك المساء الذي اتصل بي قبل سفره، كان الفضول الذي شمل أول لقاء بيننا هو ما دفعني إلى الرد عليه ، كان صوته قويا وكأن المساء بهدوئه لم يمس شيئا من طبقاته ، نقل إلي توجسه الأول قال بشيء من الخوف أن التفاصيل تضيع منه وأن العطب يصل إليها منذ شعر أن عاما قد مر على أخر ابتسامة رآها تملأ وجهها

ـ أريد الحديث عنها حتى لا تندثر وأنسي شيئا منها.

يبدو لي أ ن الكلام مثل الكتابة وحدهما قادران على رفو الحرف مع الحرف وصياغة شيئا من الوجود الإنساني ،كان قد خاف هذا المساء أن ينسي أدق التفاصيل وجهها وكيف كانت تتعرق وتحزن وتمشي وتقبل ، القضية كلها كانت قضية وجود ،تلك الومضة التي حركت حياته ونسي كل الوجوه وتذكرها هي عندما رأى وجهي ،في أول لقاء قال لي

ـ فيك شيء ما أعرفه من تجفة . يمكن طيبتها .

كنت في وقتها ممتلئة بالمساء ، السكون الذي مارسته مع نفسي لفترة زادت عن الساعتين متواصلتين شكل قشرة سميكة لم يستطع " الأستاذ علي " على حدة صوته أن يكسرها ، لم أشعر أنني أشبه أحدا حتى ولو من بعيد . أجبته وأنا ساهية كليا بأننا سنلتقي في الصباح.

في المساء أكون قد جربت بهدوء ذلك ، أغمضت عيني ، شعرت بالهدوء الذي يقترب من السماء ، تذكرت وجه " الأستاذ على " ، تصورت أني أجادله ، كما كنت أفعل قبل سفره ، قلت له العبارة الوحيدة التي لم أقلها له عندما طلب مني أن أحلل له كل ما مر به في ذلك العام ، قلت له:

ـ اعتقد أو لا تفعل عندما تحب شخصا فأننا نحبه خالصا هو لا غيره ، يكون محتلا للقلب ، وعندما نفكر في شخص آخر غيره يمكن أن يشاركه في قلوبنا فان النقص يكون قد حدث فينا أو فيه بحيث لم يعد يملأ فراغ قلوبنا ، عندها لا نعود نحبه وإنما يصبح الحب خاضعا لأمور أخرى تفرضها الحياة.

كنت أرد عليه بنفس أسلوبه اللغوي الذي آمن به دائما ، لأن

ـ الكلمة صنعت العالم.

كما قال دائما في تلك الجلسات التي اكتشفنا أننا بدأناها متأخرا ،وأن سفره بات على بعد خطوتين أو أقل ، ذات يوم سألته بأسلوب مباغت

ـ هل تأكدت أنك أحببتها في يوم؟

لم يجبني " علي عن السؤال في وقتها ، انشغل بالأوراق في يده ، تحرك في كل اتجاه في المكتب ، أعطى تعليمات كثيرة للطلبة ، وتجاهلني ، عندما عدت إلى البيت كان السؤال قد غاب عن بالي تماما ، عدت إلى نفسي وألم الرأس الذي شعرت به في الصباح ، جربت أن أتمدد في سريري وأنام في اللحظة التي أرسل " الأستاذ علي" فيها

ـ (سؤالك كان قضية أخرى ، في أحيان أشعر أنني لم أحبها لأنها تتحول إلى طيف لا أعرف مدى صحته أشعر ولكنها تمثلت في صورة من أحببتها فأحببتها ، أنه أمر غريب أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة " ليس لي إلا الذكرى ولمس الحروف والصمت " تلك العبارة وجدتها الآن في دفتر كنت أسجل فيه الرسائل حيث كنت أمسحها حتى لا تجدها زوجتي التي أحبها ، أي تناقض هذا).

كان المهم بالنسبة لي في ذلك اليوم تحديدا أنني مررت بالتجربة التي بحث عنها طويلا ، سأكتب كل شيء ، ومن ثم سأمحو كل شيء ، سأؤرخ ذاكرة بيضاء جديدة ، يحدث ذلك عندما يحين المساء ، أتخذ تلك الوضعية دائما ، أجلس في زاوية من الغرفة ، أختلط بالظلام ، اسند ظهري إلى الجدار ، أضع صفحة بيضاء أمامي ، أكتب فيها ، أعود إلى ذاكرة الأيام التي أرهقتني طويلا ، أرسم في ذهني صورة إنسان أقوم بكتابها ،أمزقها أرمها بها من أعلى شرفتي ، بدأت فترة أشعر أن ذلك الإنسان تحول إلى شيء آخر ، ذاكرة جميلة ، مرتبة حسب إمكانياتي للفهم لدي ، وربما ذلك كله كان يكمن أن أمي ما عادت تلاحقني بصوتها وتنادي علي لأنزل و لا أبقى وحيدة في وقت سكنت فيه كل الأرواح ونامت الموتة الصغرى ، بدأت من نهاية الحكايا الصغيرة التي انتهت إليها ذاكرتي ، التذكر العكسي كان يريحني في البداية .

وفي الجلسات المتقدمة كانت الأشياء والوجوه تمتزج فتصير شيئا واحدا لا أجد فارقا فيما بينها ، في الليلة الأولي كتبت وأنا أغوص طويلا في داخلي ، أصبحت روحا دون جسد .

في الأسبوع الذي سبق سفره أرسل لي " الأستاذ على " تلك الرسائل القصيرة التي احتفظت بها لعام في ذاكرة هاتفي .

ـ (في المكتب آخذ كتبي تمهيدا للسفر ، لدي ثلاثة أمكنة للكتب ، مكتبي ، غرفتي في الخوض ، مكتبتي في البيت ، لذا أواجه مشكلة كبيرة بالأمكنة ، انظر للكتب ستكون يتيمة حبيسة الرفوف والعلب الكرتونية).

ـ (سأذهب تاركا أشياء كثيرة خلفي ، هذه الفترة أمر بمرحلة انتقالية في حياتي ، بنيت بيتا جديدا لعائلتي وقبل أيام انتقلنا إليه تاركين بيتنا القديم الذي عشت فيه وشهدت توسعاته بين فترة وأخرى ، لذا أصبحت مشتتا بين القديم والحديث بل إن والدي لا يستطيع أن يعيش معنا ، يُصر أن يبقى في بيته الذي يحتفظ فيه بآثار بعض الحجارة التي حملها بيديه وبنى فيه أساسه).

ـ (أما قصة البيت الجديد فلم تنتهي بعد ولا يزال يتطلب المزيد من الاحتياجات التي لم أستطيع توفيرها من الناحية المادية وكذلك الوقت الذي لم يسعفني حتى لغرس بضعة شجيرات وأراقب نموها).

ـ (ارتباطي بالمكتب حكاية هو الآخر ، كتب وأبحاث الطلاب وامتحاناتهم والهدايا التذكارية حيث كنت مشرفا على الأنشطة الطلابية وقصاصات من الكلمات وأبيات الشعر على لوحة الإعلانات تحمل ذكريات عدد من السنوات ، سأذهب لأنقض شيئا من غبار الماضي).

كل ذلك البحث المستمر عن كل شيء و الذي لازم رسائل " الأستاذ علي " تلك ذكرتني بـ"تجفة بنت حسن" بشكل مباغت ، فقبل سنوات من رحيلنا كانت تفتح فمها وتظهر أسنانها المتآكلة أمام أمي وتشير إلى أحد أسنانها الأمامية وتقول بجزع

ـ أنا شفته يطيح في الحلم.

ثم حرك رأسها وأضافت

ـ كنت أصرخ ، والدم ينزل من ضرسي في كل مكان.

وعندما ربت أمي على ظهرها وقالت

ـ لا تخافي ، وقولي خير اللهم اجعله خير.

ردت عليها " تجفة" بنزق

ـ أنت ما تعرفي شيء في الأحلام ، نشوفي النجوم فوقك ، باكر راح يطيح واحد منها .

توجست أمي وهي تنظر إلينا ، كانت تعدنا يعيينها الخائفتين ،تصرخ في وجه "تجفة "

ـ فال الله ولا فالك .

بعدها تخونني الذاكرة وأنسى الوقت ، لا أتذكر إلا رائحة " حسن " العابقة في المكان ،يربكني أن أرى " دشداشته " التي أشتراها من " سعيد الطارش " ، وقربها من يد " تجفة بنت حسن " وقال

ـ ماه ، أريدها .

أنسي ، أكاد أن أخرج ، أسمع سعال " تجفة بنت حسن " ، رياح خفيفة شعرت بها تأتي من البيت، تذكرت كيف كان "حسن " يركض "، أجد نفسي في عجلة من أمري شعرت عندما استيقظت أن الحلم الذي راودني يحمل أشارة أو بشارة لن يعلمها إلا " تجفة بنت حسن " ، عامدة قصدت دارها في ذلك اليوم ، جلست بجانبها كانت ما تزال قادرة على تمييز الوجوه ، أخذت تمرر أصابعها على وجهي ، أخذت يدها ووضعتها في يدي ،ضغطت عليها وقبلتها، أخبرتها أنني رأيت في الحلم إحدى الإبل تجري خلفي دون توقف ، صمت طويلا ، شعرت بأنها تعود إلى ذاكرة النسيان التي بدأت تتمسك بها منذ شعرت ب " حسن " يركض لآخر مرة ، سكتت أشاحت بوجهها ، تركتها ،استقبلت الباب كنت أحتاج إلى ذاكرتها في ذلك الوقت ، من وراء ظهري سمعت صوتها الضعيف

ـ ذيك الدنيا ، بعدها تريدك ، أنا ما أريدها ، الدنيا ناقة تركض ورا الإنسان .

رجعت وقبلت رأسها ، دائما أحببت " نجفة بنت حسن " أحببتها منذ كانت تركض ورائي وحسن لتعيدنا إلى بيتها ، ، أتذكر وجهها الباسم ، حتى بعد أن أصبحت قامة " حسن" تطول ، قالي حسن :ـ

ـ تذكرين سعيد الطارش ..... أشتاق له وايد .

أغوص مع " حسن وأتذكر ، "الطارش " ، الرجل الذي اشترت لي منه " تجفة " مشطي الخاص بي بعد أن كانت أمي تستخدم مشطا واحدا لكل من في البيت ، تحسسته بأصابعها الطويلة وقالت

ـ المشط لك يا سامية .

أما "حسن " فكان وصول "سعيد الطارش " موسم عيد يشتري منه كل ما يريد من الملابس .تقف لدي الذاكرة ، أتذكر " سعيد الطارش " وهو ينظر إلى " حسن " ويخبر أمي القريبة منه

ـ قلبي يقول ها الصبي ما من أولاد الدنيا .

تحرك أمي فمها بكلام كثيرة وتختمه

ـ الله يخليه لجدته.

* ما بين القوسين نصوص من رسائل وصلت إلى الكاتبة